

والصلح خير*

أ. بوعلام باقي

شرّع الله الصلح بين الناس ولم يستثن منه حالة من أحوال حياتهم فقد شرّعه للأفراد كما شرّعه للجماعات علما بأن الصلح يحمل بين طياته السلم الذي ينشده الناس عبر الأزمنة والأمكنة ففي السلم يسعدون وبالسلم يتم تعارفهم وتنصهر علاقتهم فتزداد رسوخا لا ترزعزعا الأحداث ولا الأعاصير فلا تخرج حالتهم عن السنة الكونية التي أرادها الله لخلقه حيث قال عزّ من قائل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾¹ وشرّعه الله تمتينا للأخوة والوئام وعلاجاً لما تجنح إليه النفس الأمارة بالسوء امتثالاً لترعتها الشيطانية فتفسد علي الناس حياتهم وتزرع بذور الفتنة والشقاق لا تسلم من ذلك لا الحياة الزوجية التي أرادها الله أساساً

*. أستاذ ووزير سابق.

1. الحجرات، 13.

حياة البشرية وقواما للمجتمع يقول الله تبارك وتعالى في ذلك : ﴿وَإِنْ
 امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ
 يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾¹ ويقول في آية أخرى : ﴿وَإِنْ
 خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ
 يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾² ولا تسلم من ذلك الخلية العائلية
 ويأتي في هذه الحالة قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ
 وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾³ والعفو خير ما ينفق الإنسان في حياته مصداقا لقوله تعالى
 في سورة البقرة الآية 219 : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ﴾⁴ . فلا
 غرو إن العفو والصفح وإصلاح ذات البين مجلبة للخير مدعاة للتسامح
 الذي يلين القلوب والقلوب إذا لانت غمرتها الرحمة والمحبة فلانت لبعضها
 وتبيننا لهذا يأتي قول النبي صلى الله عليه وسلم : "الأرواح جنود مجندة ما
 تعارف منها إئتلف وما تنافرت منها إختلف" رواه البخاري ومسلم وأحمد.
 وما كان صالحا للأفراد في إصلاح ذات بينهم وتأليف قلوبهم يصلح لا
 محالة للجماعات في تطيب نفوسهم وتحسين علاقتهم فتسكن الضغينة
 وتزول الأحقاد لا سيما بين المؤمنين وقد وصفهم الله في محكم كتابه بأنهم
 إخوة فقال عز من قائل : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ
 أَخَوَيْكُمْ﴾⁵ هذا عن مجرد النزاع والخلاف بدون عنف أمّا إذا استفحل

1. النساء، 128.

2. النساء، 35.

3. التغابن، 14.

4. البقرة، 219.

5. الحجرات، 10.

وتطّور بحيث أصبح صراعاً وقتالاً فلا مناص من اللجوء إلى حسم الأمر بما يجعل له حداً سيما وراءه السلم المنشود بين العباد ويقول الله في ذلك : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيَّ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾¹ فالسلم ضالة المؤمن مهما كانت الظروف والأحوال ولو كان الطرف المحارب من الأعداء عملاً بقوله تعالى ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾² وقوله تعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾³ ففي هذا القول الفصل من كتاب الله العزيز مهما كانت المبررات وإن تأنيب رسول الله أسامة بقوله : هل شققت على قلبه بعد أن قتله الكافر وقد نطق بالشهادة زاعماً بأنه نطق بها حيلة لينجوا من الموت خير عبرة لو اتعظ بها الممارسون للإرهاب لأراحوا الناس وسلم المجتمع مما جرّته العلل الزائفة من ويلات فما لأحد مهما كان أن يحكم على الناس بمحض إرادته ويستبيح لنفسه ولمن معه النفوس التي حرّم الله قتلها إلّا بالحق ويزهق دماء الأبرياء من الرجال والنساء والولدان متعللاً بعقل لا أصل لها ولا هي من الدين فالطاغوت ما هو إلّا شيطانهم الذي أملي لهم ما يقدمون عليه من التقتيل والتمثيل بغير حق ولا قانون وسيي النساء والتمتع بالعنفيات ثيبات وأبكاراً وبقر بطون الحوامل لإخراج أجنتهن فقتلها بلا رحمة ولا شفقة

1. الحجرات، 9.

2. الأنفال، 61.

3. الممتحنة، 8.

وهيهات أن تسكن الرحمة القلوب القاسية وتخلص من غيها النفوس العاتية ولو درسوا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد جعلها الله لنا خير أسوة لوجودها ملامى بمواطن لا تخلو من الصلح فلقد ساعد قريش قبل أن يبعث رسولا على المصالحة حيث اشتد النزاع بين قبائلها بمناسبة إعادة البناء للكعبة فأرادت كل قبيلة أن يكون لها فضل وضع الحجر الأسود في المكان المخصص له فجاء بردائه ووضع عليه وطلب من كبير كل قبيلة أن يمسك بطرف من الرداء ويرفعوه فلما بلغ مستوى المكان أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الحجر بيده الشريفة ووضع في المكان وصالح بين الأوس والخزرج بعد أن بعث وكانت الحرب مزمنة بينهما وأخى بين المهاجرين والأنصار بعد أن دخل المدينة مهاجرا وسعى للصلح بالحديبية بين المسلمين وكفار قريش فتنازل إلى هؤلاء على كثير مما أرادوا ولو أن ذلك أغضب بعض الصحابة جهلا منهم لما كان يعرفه النبي صلى الله عليه وسلم من عواقب الصلح وتوج كل ذلك بالعفو على كفار مكة عند دخولها فاتحا منتصرا فقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء غير مستثن منهم حتى التي سعت لقتل عمه حمزة في معركة أحد ولم تقنع بقتله بل أشارت إلى عبدها ببقر بطنه فأكلت كبده إرضاء لحقدها عليه وما هذه الوقائع والأحداث إلا دروس لنا نستخلص منها العبر ذاكرين قوله الله عز وجل : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾¹.